موازين القوى بين دول المحور والعالم العربي(*)

م. ج. شرودر

باحث في التاريخ الحديث - ألمانيا الاتحادية

ترجمه من الفرنسية: د. محمد خير البقاعي

قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة الملك سعود

يغطي هذا الموضوع الفترة الزمنية الممتدة من إنشاء محور برلين - روما في ٢٥ أكتوبر"تشرين الأول" ١٩٣٦م (١٠/٨/١٣٥٥هـ)، حتى انفراط عقد هذا التحالف في ٩ سبتمبر"أيلول" ١٩٤٣م (١٠/٩/١٣٦٢هـ)، وهي فترة تحددت معالمها وحدودها طيلة فترة ديمومتها بنقطتين أساسيتين، هما: أنه ينبغي لموازين القوى بين دول المحور والعالم العربي ألاَّ تُدرس بصفتها أحداثًا استثنائية، وإنما في سياقها التاريخي، وبما تحمله من دلالة، وأن نتساءل عن الدور الذي أداه العالم العربي قبل ظهور محور برلين - روما، وأن تدرس أول ما تدرس في إطار

(*) نشر هذا البحث ضمن أعمال المؤتمر الدولي في باريس (٨ - ١١/٤/١٩٦٩م) في كتاب بعنوان "الحرب في حوض البحر الأبيض المتوسط ١٩٣٩ - ١٩٤٥م"، من منشورات المركز الوطني للبحث العلمي في باريس. ولقد سعدت بتكليف الدكتور فهد السماري لي لترجمته إلى العربية، وقيامه بمراجعته، وإبداء ملحوظاته القيمة.

وعنوان البحث بلغته الأصلية ومعلوماته الوراقية على النحو الآتي:

“LES RAPPORTS DES PUISSANCES DE L’AXE AVEC LE MONDE ARABE”, M. J. SCHRÖDER, LA GUERRE EN MEDITERRANÉE, 1939-1945, COMITÉ D’HISTOIRE DE LA 2me GUERRE MONDIALE Editions du Centre Nationl de la Recherche Scientifique, 15, quai Anatole-France - paris Vll, 1971.

التطلعات، والمشاريع، والتحركات، ليس الإيطالية فحسب، وإنما الألمانية أيضًا.

كانت إيطاليا - شأنها شأن بقية القوى العظمى الأخرى في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي - تسعى إلى إنشاء إمبراطوريتها الاستعمارية، إلا أن جهودها في هذا الصدد اصطدمت بعقبات كأداء: إحداها كانت في عام ١٨٨١م (١٢٩٨هـ)، عندما أصبحت تونس تحت الحماية الفرنسية، وبعد ذلك بقليل، عندما أدت السياسة التي انتهجها كريسبي (Crispi)(١) في شرقي أفريقيا إلى هزيمة أدوا (Adoua) في عام ١٨٩٦م (١٣١٤هـ). وكان ينبغي انتظار عام ١٩١١م (١٣٢٩هـ) لكي تقوم إيطاليا بشن حرب استعمارية أخرى انتزعت في نهايتها ليبيا آخر معاقل الإمبراطورية العثمانية في شمال أفريقيا. غير أن مطامع إيطاليا التوسعية الاستعمارية لم تكن تقتصر حينئذ على أفريقيا، بل امتدت لتشمل منطقة البحر الأدرياتيكي، ومنطقة البلقان.

لقد كان لما عُرف بالانضمامية (L' irrédentisme)(٢) دور أساسي متنام في توجيه السياسة الإيطالية في هذا الخصوص، كما أن مسألة الأقاليم النمساوية التي أبدت رغبتها في الانضمام إلى إيطاليا، دفعت الحكومة الإيطالية في ٣ أغسطس"آب" ١٩١٤م (١٣٣٢/٩/١٢هـ) إلى أن تتخذ - ظاهريًا - موقفا حياديًا، وإلى عقد اتفاقية لندن السرية في ٢٦ أبريل"نيسان" ١٩١٥م (١٣٣٣/٦/١٢هـ) مع بريطانيا، وفرنسا، وروسيا؛ وهي الاتفاقية التي ما كاد يمر شهر

---

(١) فرانسيسكو كريسبي، (Francesco Crispi) (١٨١٩ - ١٩٠١م)، رجل دولة، وسياسي إيطالي محنك (المترجم).

(٢) الانضمامية: نظرية سياسية نادى بها الوطنيون الإيطاليون بعد عام ١٨٧٠م، غايتها ضم المناطق التي يسكنها أبناء جنسهم ولغتهم، وكانت خاضعة لدولٍ أجنبية [المترجم عن معجم المنهل، فرنسي - عربي].

واحد على عقدها حتى أعلنت إيطاليا الحرب على الإمبراطورية النمساوية - الهنغارية(٣).

كانت الحكومة الإيطالية مستمرة في سياستها الانضمامية والاستعمارية في البلقان، وفي البحر الأبيض المتوسط عندما دخلت مفاوضاتها مع الحلفاء في مارس"آذار" ١٩١٥م (ربيع الثاني ١٣٣٣هـ) في مرحلة حاسمة، مع أن اتفاقية لندن السرية تحدد بوضوح حدود التوسع الذي كانت تطمح إليه سياسة القوة الإيطالية. إن كل ما وعد به الحلفاء هو أن تمتد الأراضي الإيطالية؛ لتشمل منطقة الترنتان (Trentin) وتيرول الجنوبية (Tyrol du sude) وإستري (Istrie) ودالماسيا (Dalmatie). أما المطالب الإيطالية في حوض البحر الأدرياتيكي فإن الحلفاء لم يقبلوا إلا بجزء منها مراعاة للمصالح الروسية في البلقان؛ وكانت التطمينات التي تلقاها الإيطاليون بخصوص طموحاتهم في بلاد المشرق المتوسطية، وفي المستعمرات ظرفية وغير محددة، أو أنها تتعارض مع المعاهدة الموقعة بين الحلفاء. لقد كانت معاهدة لندن خيبة أمل بالنسبة إلى السياسة الإيطالية، وأصبحت خيبة الأمل أكبر خلال فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى. وإذا كان من غير المشكوك فيه أن إيطاليا وجدت أراضيها حسب

---

(3) 1st – Michael Seidlmeyer, Geschichte Italiens. Vom Zusammenbruch des Römischen Reiches bis zum ersten Weltkrieg. Mit einem Beitrag "Italien vom ersten zum zweiten Weltkrieg" von Theodor Schieder. Stuttg, 1962, S. 440 ff.,

2nd – Hans Kramer, Geschichte Italien II: Von 1494, zur Gegenwart, Stuttgart-Berlin-Köln-Mainz 1968, S. 82 ff.

أ - ميشائيل زايدلمير، تاريخ إيطاليا من انهيار الإمبراطورية الرومانية حتى الحرب العالمية الأولى؛ ومساهمة تيودور شيدر، إيطاليا بين الحربين العالميتين، شتوتغارت، ١٩٦٢م، ص ٤٤٠؛ ب - هانس كرامر، تاريخ إيطاليا، مج٢، من ١٤٩٤م حتى الوقت الحاضر، شتوتغارت، برلين، كولونيا، مانيس، ١٩٦٨م، ص٨٢ وما بعدها.

اتفاقية سان جرمان إن لاي (St.-Germain-en-Laye) التي عُقدت في ١٠ سبتمبر"أيلول" ١٩١٩م (١٣٣٧/١٢/١٥هـ)، امتدت لتشمل تيرول الجنوبية التي (يكاد يصل عدد سكانها الألمان إلى ٢٥٠٠٠٠ نسمة)، فإنها حصلت أيضًا على الشريط الساحلي لتريستا (Trieste)، وشبه جزيرة إستري، وقسم من كرانثيا (Carinthie)، والقسم الشمالي من دالماسيا والجزر الواقعة على ساحلها، وقد بقيت تابعة لها حتى اتفاقية راباللو (Rapallo)، التي وقعت في ١٢ نوفمبر "تشرين الثاني" ١٩٢٠م (١٣٣٩/٣/١هـ). أما محاولة إيطاليا تحويل البحر الأدرياتيكي إلى ساحة نفوذ إيطالية فإنها باءت بالفشل، كما تلاشت الآمال التي كانت تدغدغها لإيجاد مناطق نفوذ في أفريقيا وفي آسيا الوسطى.

وإذا كانت إيطاليا قد تمكنت من تحقيق سياستها الانضمامية بنجاح تام، فإن برنامجها في التوسع الاستعماري كان لاينى يتعرض لانتقادات شديدة متزايدة بسبب النظام الجديد الذي رسمت ملامحه مرحلة السلام. لم يكن الحزب اليميني الوطني الإيطالي وحده هو من انتقد بطريقة غوغائية التسوية السلمية في عام ١٩١٩م (١٣٣٧هـ)، ووصفها بأنها "نصر مفقود"، بل إن موسوليني تحدث هو أيضًا - منذ خريف عام ١٩٢٢م - عن إمكانية إجراء مراجعة لمعاهدات السلام.

لقد كان ذلك بالطبع تأكيدًا عامًا، ولا يستلزم أية تبعات تالية. وكان ينبغي انتظار عام ١٩٢٧م (١٣٤٦هـ) ليظهر بعده في إيطاليا تياران يطالبان بوضوح أكثر بمراجعة اتفاقيات السلام: "لقد حدد موسوليني لنفسه هدفًا بعيدًا وغير محدد بوضوح، يتمثل في أن تكون إيطاليا كفة التوازن في منطقة الشرق الأوسط في وجه الهيمنة التاريخية لبريطانيا وفرنسا عليه، واستخدام جميع وسائل التأثير الثقافي والاقتصادي والسياسي لإحياء[٦٠٩] الإرث الحضاري

الإيطالي في سورية وفلسطين ومصر والبحر الأحمر بأي طريقة كانت"⁽٤⁾. ولتحقيق ذلك الهدف البعيد وقف موسوليني إلى جانب الشعوب العربية التي لم تُبْدِ في واقع الأمر إلا قليلاً من التجاوب مع الود الذي أبداه الإيطاليون تجاهها. وكما اتجهت المطامع الإيطالية إلى الشرق الأوسط فإنها اتجهت أيضًا بالطريقة نفسها إلى المحمية الفرنسية في تونس؛ لأن ليبيا المستعمرة الإيطالية - التي لم تكن بعدُ في عام ١٩٢٧م (١٣٤٦هـ) قد خضعت بالكامل للسيطرة الإيطالية، وتقع في وسط الساحل المتوسطي لشمال أفريقيا - ينبغي أن تمتد نحو الغرب إلى تونس التي تتمتع بموقع استراتيجي فائق الأهمية⁽٥⁾.

ويتضح لنا مما سبق أن الأهداف الاستعمارية التي رسمها الإيطاليون من دعاة مراجعة اتفاقيات السلام كانت تطال العالم العربي على وجه الخصوص؛ فقد شملت شبه الجزيرة العربية ومناطق أخرى غالبية سكانها أو كلهم من العرب مثل: بلاد ما بين النهرين، وسورية، وفلسطين، ومصر، وشمال أفريقيا كله، وباستثناء إثيوبيا المسيحية، امتدت إلى أعماق السودان، وإلى المناطق الساحلية في شرقي أفريقيا حتى تنجنيقا. ويظهر من ذلك أن المطامع التوسعية الإيطالية كانت تنصب على بلدان تكاد تكون بلا استثناء تحت الحماية البريطانية أو الفرنسية، وتناضل لتحقق استقلالها. بيد أن تلك التحركات المناهضة للبريطانيين أو الفرنسيين لم تفض أبدًا إلى أعمال منسقة وشاملة. ويمكن أن نستخلص من التأمل في ثَورة حزب الوفد في مصر ١٩١٩ - ١٩٢٠م (١٣٣٧-١٣٣٨هـ)، وفي انتفاضة

---

(4) Vgl. Dazu Ferdinand Siebert, Italien Weg in den Zweiten Weltkrieg. Frankfurt am Main-Bonn1962, S. 18 ff.

قارن بكتاب فرديناند زيبرت، طريق إيطاليا إلى الحرب العالمية الثانية، فرانكفورت على الماين وبون ١٩٦٢م، ص١٨.

(٥) انظر: المصدر السابق، زيبرت، ص١٩.

عبدالكريم [الخطابي] في المغرب ١٩٢١ - ١٩٢٥م (١٣٣٩ - ١٣٤٣هـ)، وفي حركة حزب الدستور في تونس ١٩٢٢ - ١٩٢٤م (١٣٤٠ - ١٣٤٢هـ)، وفي المواجهات المناهضة للصهيونية في فلسطين ١٩٢٢ - ١٩٢٩م (١٣٤٠ - ١٣٤٨هـ)، أن نوايا الإيطاليين المبيتة في منطقة البحر الأبيض المتوسط لم يكن لها أن تتحقق إلا بمواجهة المقاومة العربية، والوجود البريطاني الفرنسي هناك.

أما ألمانيا فهي على نقيض إيطاليا لم يكن لها أي أهداف استعمارية في العالم العربي. وقد أجبرت معاهدة فرساي للسلام حكومة الرايخ على التنازل عن حقوقها ومصالحها في الشرق الأوسط أيضًا؛ واستمر ذلك حتى منتصف العشرينيات تقريبًا، حينئذ استطاعت التجارة الألمانية استعادة قسم كبير من السوق التي فقدتها في الشرقين الأدنى والأوسط. ولكن التجارة الألمانية مع الشرق منيت من جديد بضربة قاسية عندما اندلعت في عام ١٩٢٩م (١٣٤٨هـ) الأزمة الاقتصادية العالمية. وواجه ازدهار التجارة الخارجية الألمانية مع الشرقيين الأدنى والأوسط عقبة أخرى خلال السنتين الأوليتين من وصول الحزب الوطني - الاشتراكي إلى الحكم في ألمانيا، تمثلت في نقص العملات الأجنبية المتزايد، وفي مشكلة التشغيل. بيد أن التجارة الألمانية مع المشرق شهدت منذ عام ١٩٣٥م (١٣٥٤هـ) نموًا ملحوظًا؛ فأصبحت ألمانيا تستورد من بلاد الشرقين الأدنى والأوسط "المنتجات الزراعية، والمواد الأولية [٦١٠] ذات المنشأ الحيواني، ومعادن ذات أهمية استراتيجية، مثل: (النحاس، والنيكل، والأولفرام⁽٦⁾، والنيكل)"، وتُصدر لها في مقابل ذلك "الأدوية، والمنتجات الكيميائية، والأدوات الكهربائية، والألبسة، والسيارات،

---

(٦) معدن (wolfram) أو (tungstène) هو عنصر فلزي يُستعمل في تقسية الفولاذ وصنع السُليكات التي بداخل المصابيح الكهربائية. [المترجم عن معجم المنهل، فرنسي - عربي].

ومستلزمات السكك الحديدية، وبعض المنشآت الصناعية، والعتاد الحربي الذي يتزايد استيراده يومًا بعد يوم"(٧). ويتضح من ذلك أن ألمانيا تستفيد أكثر فأكثر من العداء المتنامي الذي يكنه العرب لكل من بريطانيا وفرنسا(٨).

إن ألمانيا - على نقيض إيطاليا - لم يكن لها في الوطن العربي مطامع للهيمنة السياسية، وكانت أهدافها مقتصرة على النفوذ التجاري فحسب. ولم يكن لهذا الاختلاف في الهدف المنشود تأثير كبير في العلاقات الألمانية الإيطالية، ولكنه مع ذلك اكتسب بعض الأهمية؛ لأن هتلر (Hitler)، وشيانو (Ciano)، صهر موسوليني، ووزير خارجيته، أجريا محادثات في مدينة أوبرسالزبيرغ (Obersalzberg)، يوم ٢٤ أكتوبر"تشرين الأول" ١٩٣٦م (١٣٥٥/٨/٥هـ)، عشية الإعلان الرسمي عن تشكيل محور بيرلين - روما، واتفقا خلالها على تحديد مناطق النفوذ الألماني والإيطالي كالآتي: "البحر الأبيض المتوسط منطقة نفوذ إيطالية، وإن أي تغيير مستقبلي للتوازن فيه ينبغي أن يتم لمصلحة إيطاليا. وينبغي أيضًا أن يكون لألمانيا حرية التوسع نحو

---

(7) Vgl.dazu u. a. A)-Francessco Gaberieli, Geschichte der Araber. Stuttgart 1963, S.184 ff., und B)-Franz Taeschner, Geschichte der arabischen Welt. Miteinem Beitrag " Die arabische Welt in der Epoche des Nationalismus" von Fritz Steppat. Stuttgart 1964, S.188 ff., 209, 221 und 226.

انظر:

أ - فرنسيسكو غبريللي، تاريخ العرب، شتوتغارت ١٩٦٣م، ص١٨٤ وما بعدها؛

ب - فرنس تشنر، تاريخ العالم العربي؛ والعالم العربي في عصر القوميات، لفرتس شتباث، شتوتغارت ١٩٦٤م، ص ١٨٨ وما بعدها، و ٢٠٩، و٢٢١، و ٢٢٦.

(8) Vgl. Dazu Heinz Tillmann, Deutschlands Araberpolitik im Zweiten Weltkrieg. Berlin 1956, S. 16 f.

انظر:

- هاينس تلمان، السياسة العربية لألمانيا في الحرب العالمية الثانية، برلين ١٩٦٥م، ص١٦ وما بعدها.

الشرق ونحو بحر البلطيق، ولما كانت تحركاتنا في الشرق العربي غير متعارضة فإنه لا يمكن أن تحصل مواجهة بين المصالح الألمانية والإيطالية..."(٩).

ولم يكن هناك حاجة لأية محادثات أخرى بهذا الشأن؛ لأن هتلر وشيانو كانا يرميان من وراء هذا الاتفاق ربط مصالح البلدين ربطًا محكما. وقد كان واضحًا أن مطامع كل منهما تتغلب على الرغبة في الاتحاد بينهما حتى إن مناطق نفوذ كل منهما فُصلت عن الأخرى بجلاء لا لبس فيه، ولعل في ذلك دليلاً ظاهريًا على ضعف جوهر تلك المعاهدة. فبينما كانت ألمانيا تتوسع نحو الشرق، كان ينبغي أن تكون منطقة البحر الأبيض المتوسط منطقة نفوذ إيطالية. وبعبارة أخرى، كان ينبغي أن يكون الوطن العربي، الخاضع كلية - وبلا استثناء تقريبًا - للهيمنة البريطانية والفرنسية منطقة نفوذ إيطالية.

وسرعان ما ظهرت أولى بوادر هذا الاتفاق بين دولتي المحور على تحديد مناطق نفوذيهما، عندما تسلم موسوليني في ١٨[٦١١] مارس"آذار" ١٩٣٧م (١٦/١/١٣٥٦هـ) في طرابلس الغرب "سيف

---

(9) Vgl. Dazu Les archive secrètes du Comte Ciano. 1936 - 1942م. Procés verbeux des entretiens avec Mussolini, Hitler, Franco, Camberlain, Ribbentrop, Göring, Sumner Welles, Serano Suner, Schuschnigg, François Poncet, etc. Accompagné de documents diplomatique inédits. Traduction de Maurice Vaussard. Paris o. j.: Aufzeichnung über. Besprechung zwischen Hitler und Ciano am 24. 10. 1936 in Berchtesgaden, S. 55-60 hier S. 56.

انظر:

الأرشيفات السرية للكونت شيانو، ١٩٣٦ - ١٩٤٢م. محاضر جلسات المحادثات مع موسوليني، وهتلر، وفرانكو، وشامبرلان، وريبنتروب، وغورينغ (Göring)، وسمنير (Sumner)، وويليس (Welles)، وسيرانو (Serano)، وسونير (Suner)، وشوسكينج (Schuschnigg)، وفرانسوا بونسيه (François-Poncet)، إلخ. مرفقة بوثائق دبلوماسية لم تُنشر. ترجمة موريس فوسار (Maurice Vaussard). باريس، وانظر: دراسات عن المحادثة بين هتلر وتسيانو بتاريخ ٢٤/١٠/١٩٣٦م في بيرشتسغادن، ص ٥٥ - ٦٠، وص ٥٦ بالتحديد.

الإسلام"، وعبر بطريقة مسرحية عن تعاطفه مع الإسلام(١٠). كان الإيطاليون يخشون - ولخشيتهم ما يبررها - أن تستغل بريطانيا إقامة دولة يهودية على الأرض الفلسطينية لتدعيم موقعها في شرق البحر الأبيض المتوسط؛ لذلك كانوا يستخدمون على الدوام القضية الفلسطينية ذريعة لتأليب الشعب العربي في الشرق ضد بريطانيا مستفيدة من الرسائل الدعائية التي كان يبثها راديو باري (Bari)(١١).

---

(10) Vgl. Dazu die Rede, die Mussolini am 18. 3. 1937 vor den Moslems von Tripolis und Libyen hielt, in: Opera omnia di Benito Mussolini. A cura di Edoardo e Duilio Susmel. XXVIII: Dalla Proclamazione dell impero al viaggio in Germania (10 maggio 1936-30 settembre 1937). Firenze 1956, S. 145-147, hier S. 147.

- Am Gleichen Tag erklärte Mussolini dem Syrischen Journalisten Taeyssir Zabian El Keylani, dass die italienische Achtung vor der Unabhän0gigkeit und Unversertheit aller arabische Lä unbedingt sei, in: ebd., S. 150.

انظر الخطاب الذي وجهه موسوليني بتاريخ ١٨/٣/١٩٣٧م إلى المساكين في طرابلس الغرب - ليبيا. وقد صرح موسوليني في اليوم نفسه للصحفي السوري ذبيان الكيلاني أن إيطاليا تحترم سيادة الدول العربية واستقلالها، المصدر نفسه، ص ١٥٠.

(11) Vgl. Dazu a) George E. Kirk, Kurze Geschichte des Nahen Ostens. Von Mohammed bis Nasser. Wiesbaden 1958 (weiterhin zitiert als: Kirk, Geschichte des Nahen Ostens), S. 236, und b) Siebert, S. 53.-Vgl. In diesem Zusammenhang auch c) Akten zur deutschen auswärtigen politik. 1918-1945. Serie D (1937-1945) [weiterhin zitiert als: ADAP und Banddangabel. Bd. V: polen, Südosteuropa, Lateinamerika, Klein-und Mittelstaaten. Juin 1937-März 1939, Baden-Baden 1953, Dokument 564: Runderlass des Auswärtigen Amtes, 22. 6. 1937, S. 632-634, hier S. 633.

انظر: أ - جورج ي. كيرك: التاريخ المختصر للشرق الأوسط من محمد ﷺ حتى عبدالناصر، فيسبادن ١٩٥٨م؛ و(يشار إليه: كيرك: تاريخ الشرق الأوسط)، ص ٢٣٦؛ ب - زيبرت، ص ٥٣؛ وانظر في هذا السياق، ج - وثائق السياسة الألمانية الخارجية ١٩١٨ - ١٩٤٥م سلسلة D (١٩٣٧ - ١٩٤٥م) (يشار إليها بالرمز ADAP) الجزء ٥، بولندا، أوروبا الشرقية الجنوبية، أميركا اللاتينية، الدول الصغيرة والمتوسطة، يونيو ١٩٣٧م - مارس "آذار" ١٩٣٩م، بادن - بادن ١٩٥٣م، الوثيقة ٥٦٤: رسالة وزارة الخارجية الألمانية، تاريخ ٢٢/٦/١٩٣٧م، ص ٦٣٢ - ٦٣٤، وبالتحديد ص ٦٣٣.

كما أنهم بعد أن استولوا على الحبشة أقاموا تحصينات منيعة في ميناء عصب عند المدخل الجنوبي للبحر الأحمر؛ ليصبح بذلك موقعًا استراتيجيًا مهمًا(١٢) مكرسًا، ولا يمكن للعين أن تخطئ ذلك؛ لتهديد المصالح البريطانية، كما كانت حال معاهدة الصداقة والتجارة التي عقدتها إيطاليا بعد ذلك مع الإمام يحيى، إمام اليمن، وأدان فيها الجانبان السياسة البريطانية في عدن؛ مما جعل الإمام يحيى يسمح للإيطاليين في نهاية الأمر - بعد أن كان في بداية الأمر معارضًا - بإنشاء مراكز صحية في اليمن، وقد كانت هذه المراكز كما يذكر كيرك (Kirk) "غطاء مناسبًا لنشر الدعاية المضادة للبريطانيين وللتجسس"(١٣). إذًا، ما إن وقعت إيطاليا ميثاق المحور حتى نهجت في سياستها نهجًا مناصرًا للعرب بحزم. وقد كان قطب الرحى في هذه السياسة فلسطين واليمن أكثر منه شمال أفريقيا.

كانت المراكز الصحية الإيطالية غطاء مناسبًا لنشر الدعاية المضادة للبريطانيين وللتجسس

أما سياسة ألمانيا العربية فقد كانت مختلفة كل الاختلاف كما يتجلى ذلك في برقية أرسلتها وزارة الخارجية الألمانية إلى رؤساء البعثات الدبلوماسية في لندن وبغداد والقدس في الأول من يونيو"حزيران" ١٩٣٧م (١٣٥٦/٣/٢٢هـ)، أي قبل خمسة أسابيع من "تقرير بيل" الذي أوصى بتقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق: منطقة عربية، ومنطقة يهودية، وثالثة تظل تحت هيمنة الحماية البريطانية. لقد كانت تلك البرقية تتضمن شرحًا لوجهة النظر الألمانية في مسألة إقامة دولة يهودية في فلسطين، وهو أمر لم يكن لألمانيا أن تقبله؛ لأن مثل هذه الدولة لا يمكن أن تستوعب كل يهود العالم، بل إنها ستكون بالنسبة إلى اليهودية العالمية أداة [٦١٢] قوة تعترف بها

---

(١٢) انظر: كيرك: تاريخ الشرق الأوسط، ص ٢٣٦.

(١٣) انظر: السابق.

الشعوب، وتشبه دولة الفاتيكان بالنسبة إلى الكاثوليك. وبدت ألمانيا من خلال هذا الموقف قريبة من المطالب العربية أكثر من أي وقت مضى. ومع ذلك فإن هذا الموقف لم يكن إرهاصًا بأي موقف محدد بجلاء(١٤).

ألم يكن العرب ينتظرون من ألمانيا شيئًا آخر غير شهادة التعاطف الأفلاطوني هذه؟ ألا يمكن استنتاج ما كان العرب يرغبون به من السؤال الذي وجهه محمد أمين الحسيني "مفتي فلسطين" إلى القنصل الألماني العام في القدس خلال المحادثات التي أجراها معه في ١٥ يوليو"تموز" ١٩٣٧م (١٣٥٦/٥/٧هـ)، وأراد من خلاله معرفة ما إذا كانت حكومة الرايخ مستعدة للتصريح علنًا بمعارضتها قيام الدولة اليهودية الموعودة؟(١٥) ألم يعلن حكمت سليمان رئيس الوزراء العراقي في بغداد بحضور الوزير الألماني هناك أنه لا يعتمد على دعم الإيطاليين وحدهم، ولكن على دعم الأتراك والألمان أيضًا في حالة أن بلاده أعلنت في عصبة الأمم رفضها تقسيم فلسطين؟(١٦).

وإذا كان الفلسطينيون والعراقيون ينتظرون من ألمانيا "أن تتخذ موقفًا مسؤولاً"، و"أن تتخذ موقفًا علنيًا ضد الدولة اليهودية، بل أَنْ

---

(14) Vlg. Dazu a) ADAP V, Dokument 561: Der Reichsminister des Auswärtigen an die Botschaift in London, das Generalkonsulat in Jerusalem und die Gesandtschaft in Bagdad, 1. 6. 1937, S. 629 f. vgl. In diesem Zusammenhang jerusalem, an das Auswärtige Amt, 10. 8. 1937, S. 642-645.

انظر:

أ - ADAP، المجلد ٥، الوثيقة ٥٦١: وزير خارجية الرايخ الألماني إلى السفارة في لندن، وإلى القنصل المفوض في القدس، وإلى القنصل في بغداد بتاريخ ١٩٣٧/٦/١م، ص٦٢٩.

(١٥) المصدر السابق، الوثيقة ٥٦٥: القنصل العام إلى وزارة الخارجية، تاريخ ١٩٣٧/٧/١٣م.

(١٦) المصدر السابق، وثيقة رقم ٥٦٧: القنصل في بغداد إلى وزارة الخارجية الألمانية، تاريخ ١٩٣٧/٧/١٧م، ص ٦٥٣.

تتخذ إجراءات ضد محاولات الحكومة البريطانية"(١٧). ولم يكن هتلر - احترامًا لبريطانيا - مستعدًّا لأن يقف إلى جانب المصالح العربية في قضية فلسطين. وليس من شك أن وزير الخارجية الألمانية لم يكن يعارض دعم ممثل العراق في عصبة الأمم(١٨). ولكن موقف ألمانيا من الوطن العربي بدا أكثر وضوحًا مما هو عليه هنا في المذكرة التي أمر بتحريرها فون فيزاكر (Von Weizsäcker)، رئيس القسم السياسي في وزارة الخارجية الألمانية. جاء في تلك المذكرة التي صدرت في ٧ أبريل"نيسان" ١٩٣٧م (١٣٥٦/١/٢٦هـ)، وقُدِّمت إلى وزارة الخارجية أنه من مصلحة ألمانيا "أن تقف في وجه إقامة دولة يهودية، وأن تتبع سياسة إبقاء اليهود مشتتين". ولتحقيق ذلك ينبغي ألا تتوجه الهجرة اليهودية نحو فلسطين، ولكن نحو بلاد أخرى، كما أنه ينبغي عدم مساعدة العرب [٦١٣] بالمال، وبالذخائر، نظرًا لحدوث تطور في العلاقات الألمانية البريطانية. بيد أنه من الممكن جعْل إنشاء دولة يهودية أمرًا أكثر صعوبة إذا قررت كل من ألمانيا وإيطاليا التدخل مجتمعتين لدعم المصالح العربية. ولما كانت مثل هذه العملية لا تخدم إلا المصالح الإيطالية في البحر الأبيض المتوسط، وهذا ما يغضب بريطانيا؛ فإن حكومة الرايخ أحجمت حتى ذلك الوقت عن أن تقترح على الحكومة الإيطالية أن تتخذ دول المحور موقفًا موحدًا لصالح العرب. كما أن حكومة الرايخ كانت تأمل في إمكانية حصول حوار ألماني - بريطاني - إيطالي حول القضية الفلسطينية؛ لأنها كانت ترى أنه بإمكانها في مثل هذه المناسبة أن تحقق مصالحها الخاصة(١٩).

---

(١٧) المصدر السابق، وثيقة رقم ٥٦٩ ملاحظات فون هنتج (الإدارة السياسية) تاريخ ١٩٣٧/٧/٢٩م، ص ٦٣٩.

(١٨) الحاشية السابقة.

(١٩) انظر: ADAP، مج٥، الوثيقة ٥٧٠: ملاحظات رئيس الإدارة شومبورغ (قسم ألمانيا)، تاريخ ١٩٣٧/٨/٧م، ص ٦٤١ وما بعدها.

لقد امتنعت حكومة الرايخ - حتى لا تسيء للعلاقات البريطانية الألمانية - عن تسليح العرب، وعن دعم المقاومة ضد إنشاء دولة يهودية في فلسطين، وعن القيام بعملية مشتركة بين دول المحور للوقوف بوجه ذلك. وبعبارة أخرى، يمكن القول: إنه بعد دراسة متأنية للإيجابيات والسلبيات الكامنة لاتخاذ القرار المناسب في هذا الشأن، قررت الحكومة الألمانية اتخاذ موقف مباشر يفصل بين علاقتها بالعالم العربي وعلاقتها ببريطانيا.

وفي خضم الفوضى العارمة التي حصلت إثر نشر "تقرير بيل"، الذي يدعو إلى تقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق، دخلت المملكة العربية السعودية مدار السياسة العربية لألمانيا: فالملك عبدالعزيز، ملك المملكة العربية السعودية منذ عام ١٩٢٦م (١٣٤٤هـ)، ومن خلال حديث دار بين سكرتيره الخاص - الشيخ يوسف ياسين في ٥ نوفمبر"تشرين الثاني" ١٩٣٧م (١٣٥٦/٩/٢هـ) في بغداد، والمبعوث الألماني في تلك المدينة، أبدى رغبته في إقامة علاقات دبلوماسية مع حكومة الرايخ(٢٠). إلا أنه انقضى ما يقارب سنة قبل أن تلبي وزارة الخارجية الألمانية رغبة المملكة العربية السعودية، عندما اعتمدت في سبتمبر"أيلول" ١٩٣٨م (رجب ١٣٥٧هـ) وزيرها غروبا (Grobba)، الذي كان معتمدًا في بغداد(٢١)،

---

(20) Fritz Grobba, Manner und Mächte im Orient. Jahre diplomatischer Tätigkeit im Orient. Göttingen-Zürich-Berlin-Frankfurt 1967, S. 106.

المصدر السابق، الوثيقة ٥٧٤: القنصل في بغداد إلى وزارة الخارجية الألمانية، تاريخ ١٩٣٧/١١/٩م، ص ٦٤٨ - ٦٥٠، وانظر أيضًا: فرتس غروبا، الرجال والقوى في الشرق، ٢٥ سنة من النشاط الدبلوماسي في الشرق، غونتغن - زيورخ - برلين - فرانكفورت، ١٩٦٧م، ص ١٠٦.

(٢١) انظر: أ - المصدر السابق، مج٥، وثيقة ٥٨٥: رئيس الإدارة السياسية إلى وزارة الخارجية للحزب النازي تاريخ ١٩٣٨/٩/٢٩م، ص٦٦٧؛ ب - وانظر أيضًا المصدر السابق، مج ٦: الأشهر الأخيرة قبل اندلاع الحرب، مارس"آذار" حتى أغسطس"آب" ١٩٣٩م، بادن - بادن ١٩٥٦م، ج - وثيقة ٤٢٢، ملاحظات المحاضر فون هنتج (الإدارة السياسية)، تاريخ ١٩٣٩/٥/٢٢م، ص ٤٦١؛ د - وانظر: المصدر السابق، مج٥، وثيقة ٥٧٨: الوزير المفوض في بغداد إلى وزارة الخارجية الألمانية، تاريخ ١٩٣٨/١/٢٠م، ص٦٨٥.

سفيرًا لها في جدة. توجه غروبا جوًا من بغداد إلى جدة عبر القاهرة في النصف الثاني من يناير"كانون الثاني" ١٩٣٩م (ذي القعدة ١٣٥٧هـ)، والتقى بين ١٢ و١٨ فبراير"شباط" ١٩٣٩م (٢٣-١٣٥٧/١٢/٢٩هـ) غير مرة الملك عبدالعزيز آل سعود والشيخ يوسف ياسين. لم يكتف كلا الرجلين بالحديث مع غروبا عن الموقف السياسي لبلديهما، ولكنهما بحثا معه على وجه الخصوص [٦١٤] موقف المملكة العربية السعودية من بريطانيا، وإيطاليا، وألمانيا. وبينا له أن المملكة العربية السعودية محاطة ببلاد عربية تخضع كلها بلا استثناء للنفوذ البريطاني. ولتفادي تزايد الضغط الذي يمارسه البريطانيون القابعون على حدود المملكة العربية السعودية، فإن الملك عبدالعزيز آل سعود يحرص على إقامة علاقات جيدة مع البريطانيين، مع أنه - وخلافًا للرأي السائد في الوطن العربي على وجه الخصوص - لم يكن صديقًا للبريطانيين، ولا أداة طيعة في يدهم. لقد كان هدفه في واقع الأمر تحصين المملكة العربية السعودية من الداخل؛ حتى يمكنها الدفاع عن نفسها أمام استمرار التهديدات البريطانية لها. ولم يدخر الملك عبدالعزيز ولا يوسف ياسين جهدًا ليشرحا لغروبا أن حكومة المملكة العربية السعودية تحذر إيطاليا كما تحذر بريطانيا. وإذا صح أن المملكة العربية السعودية - وحرصًا على مصلحتها الخاصة - وقفت على الحياد إبان الحرب الإيطالية الإثيوبية، وأن الحكومة السعودية تقيم مع إيطاليا كما كان الأمر دائمًا علاقات ودية، فإن ثقة المملكة العربية السعودية بإيطاليا تزعزعت بعد الاتفاق البريطاني - الإيطالي يوم ١٦ أبريل"نيسان" ١٩٣٨م (١٣٥٧/٢/١٦هـ)؛ لأن استقلال المملكة العربية السعودية، حسب ذلك الاتفاق تضمنه كل من إيطاليا وبريطانيا. وطلبت الحكومة السعودية من حكومة الرايخ بهذا

الملك عبدالعزيز آل سعود لم يكن صديقًا للبريطانيين، ولا أداة طيعة في يدهم

الخصوص إقناع إيطاليا بأن من مصلحتها كسب صداقة الوطن العربي كله بدلاً من احتلال بعض الأراضي العربية، وكسب عداء الشعب العربي كله(٢٢). وقد كان موقف المملكة العربية السعودية من ألمانيا مختلفًا كلَّ الاختلاف عن موقفها من إيطاليا؛ لأن ألمانيا لم يكن لها مطامع استعمارية في الوطن العربي، إضافة إلى أن المملكة العربية السعودية وألمانيا كان لهما عدو مشترك تمثله اليهودية(٢٣)، وكان البلدان عرضة للأعمال العدوانية البريطانية، وكانت المملكة العربية السعودية ترى في تلك الأعمال مساسا بوحدة أراضيها، وتهديدًا لملكها، وكانت ألمانيا تجد أن نظامها الذي يقوده الحزب الوطني الاشتراكي معرض على الدوام لحملات الصحافة البريطانية، ودعاياتها المغرضة. إذًا، لقد كانت المملكة العربية السعودية وألمانيا في موقف دفاعي ضد بريطانيا، ونتج عن ذلك أن مصلحة البلدين المشتركة كانت تقتضي تعاونهما. وكانت كلتا الحكومتين ترغبان في تنمية ذلك التعاون؛ مما جعل الحكومة الألمانية تبدي اهتمامها بالقضايا العربية في العديد من المناسبات. وقد كان ذلك التعاون ممكنًا أيضًا؛ لأن البلدين لم يكونا يرغبان في إعلان الحرب على بريطانيا، ولكنهما كانا يحاولان بلوغ أهدافهما بالوسائل السلمية. وإنه لمن المؤكد أيضًا أن المملكة العربية السعودية كانت - أكثر من بقية البلدان العربية - عازمة على الحفاظ على استقلالها التام، بيد أنه لم يكن من الممكن تحقيق هذا الهدف إلا بمساعدة أجنبية. ولهذا طلبت حكومة المملكة العربية [٦١٥] السعودية من حكومة الرايخ

---

(٢٢) المصدر السابق، مج٥، الوثيقة... من الوزير المفوض في بغداد وجدة إلى وزارة الخارجية الألمانية، تاريخ ١٩٣٩/٢/١٨م، ص٦٧٢ - ٦٨٠، وعلى الخصوص ص ٦٧٤.

(٢٣) ليس هذا بصحيح، فالمملكة العربية السعودية لا ترى في اليهودية بصفتها دينًا سماويًا عدوًا، وإنما عدوها هو الصهيونية العنصرية، التي تتخذ التوسع والحرب والجرائم والإرهاب عقيدة. [المترجم].

دعمًا معنويًا، وطلبت "تزويدها بأسلحة تكون أسعارها مقبولة، وبشروط دفع ميسرة". وتتعهد المملكة في مقابل ذلك بتقديم صداقتها المخلصة لألمانيا، ووعدتها بالوقوف على الحياد الكامل في حالة نشوب حرب. ولكي لا تصبح المملكة عرضة لاعتداءات بعض الدول المعادية فإنه من المطلوب طبعًا أن يتم التنسيق للتعاون بين البلدين بمنتهى السرية(٢٤).

لم يطلب الملك عبدالعزيز من ألمانيا دعمًا سياسيًا فقط، بل كان يأمل الحصول على شحنات من الأسلحة الألمانية. ومما يجدر قوله: إنه اعتمد للوصول إلى غايته على مشكلات داخلية مشتركة بين ألمانيا والوطن العربي؛ إذ إن تلك المشكلات كانت كثيرة في ظل الموقف الدفاعي الذي كان الجانبان يتخذانه حيال بريطانيا. ولكن القسم السياسي في وزارة الخارجية الألمانية لم يستجب لرغبة الملك عبدالعزيز، ولا لعروضه(٢٥). مع أن مكتب السياسة الخارجية في الحزب الوطني الاشتراكي الألماني (.N.S.D.A.P) كان منذ زمن طويل موافقًا على بيع أسلحة ألمانية للمملكة العربية السعودية(٢٦)، شأنه شأن

---

(٢٤) انظر: الحاشية رقم (٢٢)، وعلى الخصوص ص ٦٧٣ وما بعدها؛ وانظر غروبا، ص١١١ وما بعدها.

(٢٥) قارن بـ : أ - ADAP، مج٥، وثيقة ٥٩٠، ملاحظات المحاضر فون هنتج (الإدارة السياسية)، تاريخ ١٩٣٩/٢/٢٨م، ص ٦٨١؛ ب - وبالوثيقة ٥٩٢، سكرتير الدولة فورمان إلى الوزير المفوض غروبا، تاريخ ١٩٣٩/٤/١٨م، ص ٦٨٣ وما بعدها؛ ج - وبالوثيقة ٥٨٥: من رئيس المكتب السياسي إلى المكتب الخارجي للحزب النازي، تاريخ ١٩٣٩/٩/٢٩م، ص٦٦٧؛ د - وبالوثيقة ٥٨٨: ملاحظات السكرتير شلوبيز (الدائرة السياسية)، تاريخ ١٩٣٩/١/١٠/م، ص٦٧١ وما بعدها؛ هـ - وانظر أيضًا في هذا الصدد الوثيقة ٣١٣: السفير غروبا إلى السكرتير فورمان، تاريخ ١٩٣٩/٥/٢م، ص٣٣٣ - ٣٣٧.

(٢٦) انظر: أ - ADAP، وثيقة ٥٨٣: ملاحظات رئيس القسم السياسي، تاريخ ١٩٣٨/٩/٣م، ص٦٦٥ وما بعدها؛ ب - وانظر: الوثيقة ٥٨٤: الدائرة السياسية الخارجية للحزب النازي إلى مدير القسم السياسي، تاريخ ١٩٣٨/٩/٢٦م، ص٦٦٦؛ الحاشيتان رقم ٢١أ و ٢٥أ.

قيادة أركان القوات الألمانية (OKW) التي كانت تدعم وجهة نظر المكتب السياسي للحزب الوطني الاشتراكي الألماني(٢٧). وقد تمت فجأة في مايو "أيار" ١٩٣٩م (ربيع الأول ١٣٥٨هـ) مراجعة الموقف السلبي للمكتب السياسي في وزارة الخارجية الألمانية من رغبة المملكة العربية السعودية، والتخفيف من صيغته؛ لأنه لم يعد خافيًا في ذلك الوقت أن بريطانيا تتجه أكثر فأكثر في تعزيز موقعها في الشرق الأوسط، وإن لم يكن ذلك إلا في إطار أن الحذر من إيطاليا وعداءها يتزايدان في الوطن العربي(٢٨). وليس من شك في أن هذا التحول الحاسم في مسيرة الأحداث لغير مصلحة دول المحور دفع هتلر وريبنتروب (Ribbentrop)(٢٩) في يونيو"حزيران" ١٩٣٩م (ربيع الثاني ١٣٥٨هـ) إلى تقديم وعد للملك عبدالعزيز عن طريق مبعوثه خالد الهود(٣٠) بمشاركة فاعلة لألمانيا في تشكيل جيش المملكة العربية السعودية(٣١).

[٦١٦] وعندما وعد هتلر في ١٧ يونيو"حزيران" ١٩٣٩م (٢٩/٤/١٣٥٨هـ) المبعوث الخاص للملك عبدالعزيز بمساعدة ألمانية فاعلة، وبعد مشاورات بين القيادة العسكرية العليا ومكتب السياسة الخارجية في الجيش، والقسم السياسي في وزارة الخارجية تقرر منح حكومة المملكة العربية السعودية مساعدة قدرها ٦ ملايين مارك

---

(٢٧) انظر: الحاشية ٢٦أ؛ و٢٥د؛ و٢٥أ.

(٢٨) انظر: ADAP، مج٦، وثيقة ٤٢٢، ملاحظات فون هنتج (الإدارة السياسية)، تاريخ ٢٢/٥/١٩٣٩م، ص٤٦١ وما بعدها.

(٢٩) يواخيم فون ريبنتروب (Joachim Von Ribbentrop) (١٨٩٣ - ١٩٤٦م) نازي ألماني عمل في الدبلوماسية ثم أُعدم. [المترجم].

(٣٠) خالد الهود المعروف أيضًا بأبي الوليد القرقني نسبة إلى جزيرة قرقنة في تونس، أحد الرجال العرب الذين عملوا مع الملك عبدالعزيز آل سعود رحمه الله. [المترجم].

(٣١) انظر: أ- ADAP، الوثيقة ٤٩٨، ملاحظات فون هنتج (الإدارة السياسية، تاريخ ٢٠/٦/١٩٣٩م، ص٥٧١؛ ب- الوثيقة ٥٤١: ملاحظات الناطق باسم الإدارة السياسية)، تاريخ ٢٠/٦/١٩٣٩م، ص ٦٢٠ وما بعدها.

ألماني – تُدفع بعد شهر – لتتمكن المملكة من شراء مصنع صغير للذخيرة الحربية، ومدافع خفيفة مضادة للطائرات، ومصفحات، و٤٠٠٠ بندقية(٣٢). ولم تسمح الحكومة الألمانية بتسليم شحنة الأسلحة الحربية تلك إلا بعد مشاورات مسبقة مع الحكومة الإيطالية التي كانت لها منذ زمن ليس ببعيد اعتراضات جدية على بيع الأسلحة الألمانية لليمن، ولكنها لم تبدِ أي اعتراض بخصوص بيع الأسلحة للمملكة العربية السعودية(٣٣). وقبل أن تبدأ ألمانيا بتسليم تلك الأسلحة الحربية للمملكة(٣٤) اندلعت الحرب العالمية الثانية في الأول من سبتمبر"أيلول" ١٩٣٩م (١٣٥٨/٧/١٧هـ). وبعد إعلان الحرب لم تعد قضية تسليم الأسلحة الحربية الموعودة مطروحة بعد أن قطعت المملكة العربية السعودية – بضغط من بريطانيا – في ١١ سبتمبر "أيلول" ١٩٣٩م (١٣٥٨/٧/٢٧هـ)، علاقاتها الدبلوماسية مع ألمانيا(٣٥).

وبعد هزيمة فرنسا في بداية الحرب، دخلت علاقات دول المحور مع الوطن العربي مرحلة جديدة؛ لأنه كان من المطلوب تسوية مسألة المستعمرات، والمحميات، والبلاد الواقعة تحت الانتداب الفرنسي في المنطقة العربية. وكان موسوليني ينوي في بداية الأمر إقامة نقاط ارتكاز عسكرية في أنحاء الجزائر العاصمة، ووهران، والدار البيضاء، واحتلال جزيرة كورسيكا، وتونس، وساحل الصومال الفرنسي، ولكن هتلر استطاع إقناع موسوليني في ١٨ يونيو"حزيران" ١٩٤٠م (١٣٥٩/٥/١٣هـ) بضرورة التوصل بسرعة إلى هدنة مع

---

(٣٢) انظر: أ – المصدر السابق، مج ٦، الوثيقة ٥٤١، ملاحظات الناطق باسم الإدارة السياسية فون هنتج، تاريخ ١٩٣٩/٦/٢٠م، ص ٦٢٠ وما بعدها، ب – وانظر أيضًا ص ٦٢١، الحاشيتان: ١٠ و ١٢.

(٣٣) المصدر السابق ص ٦٢١، الحاشية ٨.

(٣٤) انظر: غروبا، ص ١١٥.

(٣٥) ما عدا المملكة العربية السعودية، هناك دولتان عربيتان قطعتا علاقتيهما الدبلوماسية مع ألمانيا: مصر بتاريخ ١٩٣٩/٩/٣م؛ والعراق بتاريخ ١٩٣٩/٩/١٩م.

فرنسا، وعدلت إيطاليا عن مطامعها، وهذا يعني أن المقابلة التي جرت بين هتلر وموسوليني لم تجعل هذا الأخير يصرف النظر عن احتلال جزيرة كورسيكا، والضفة الشرقية من نهر الرون (Rhône) فقط، بل جعلته يكف أيضًا عن مطالبة فرنسا بتونس وجيبوتي(٣٦).

---

(36) Vgl. dazu a) ADAP IX: Die Kriegsjahre. Zweiter Band: 18 März bis 22. Juni 1940. Frankfurt/Main 1962, Dokument 479: Aufzeichnung über die Unterredung zwischen dem Führer und dem Duce in München am 18. Juni 1940, soweit sie in Anwesenheit des Reichsa ussenministers, des Grafen Ciano, des Generaloberst Keitel und des Genel Roatta stattfand, S. 503-505 (auch abgedruckt in: Staatsmänner und Diplomaten bei Hitler, Vertrauliche Aufzeichnungen über Unterredungen mit Vertretern des Auslandes 1939-1941. Herausgegeben und erläutert von Andreas Hillgruber. Frankfurt am Main 1967, S. 139-143, b) 1 documenti diplomatici italiani. Nona serie: 1939-1943. Volume V (II giugno- 28 ottobre 1940). Roma 1956, Dokument 65: Aufzeichnung über Cianos Gespräch mit v. Ribbentrop am 18. 6. 1940 im München, S. 50-52, c) Galeazzo Ciano, Tagebücher 1939-1943. Bern 1946, S. 248 ff. (17-19. 6. 1940), d)Opera omnia di Benitto Mussolini XXX. Frirenze 1960, S. 162 (Mussolinis Brief an Hitler, 22. 6. 1940), und e)Andreas Hillgruber, Hitler Straegie. Politik und Kriegführung 1940-1941. Frankfurt am Main 1965, S. 130 f.

انظر: أ – ADAP، مج ٩، سنوات الحرب، الجزء الثاني: ١٨ مارس"آذار" حتى ٢٢ يونيو"حزيران" ١٩٤٠م، فرانكفورت على الماين، الوثيقة ٤٧٩، ملاحظات عن المحادثة بين الفوهرر والدوق في ميونيخ بتاريخ ١٨ يونيو"حزيران" ١٩٤٠م، التي تمت بحضور وزير خارجية الرايخ، غرافن تسيانو، والجنرال كايتل، والجنرال روتا، ص ٥٠٣ – ٥٠٥، منشورة أيضًا في: رجال الدولة والدبلوماسيون عند هتلر، ملاحظات سرية عن المحادثات مع ممثلي الدول ١٩٣٩ – ١٩٤١م، نشرها وشرحها أندرياز هلغروبر، فرانكفورت على الماين، ١٩٦٧م، ص١٣٩ – ١٤٣؛ ب – الوثائق الدبلوماسية الإيطالية، مجموعة ١٩٣٩ – ١٩٤٣م، مج ٥ (١١ يونيو"حزيران" – ٢٨ أوكتوبر"تشرين الأول" ١٩٤٠م). روما ١٩٦٥م، الوثيقة ٦٥: ملاحظات عن محادثة سيانو مع روبنتروب بتاريخ ١٨/٦/١٩٤٠م في ميونيخ، ص ٥٠ – ٥٢؛ ج – غلاتسو سيانو، يوميات ١٩٣٩ – ١٩٤٣م، برن ١٩٤٦م، ص ٢٤٨ وما بعدها، تاريخ ١٧ – ١٩/٦/١٩٤٠م؛ د – Opera omnia بنيتو. موسوليني، Firenze 1960، ص ١٦٢. (رسالة موسوليني إلى هتلر، بتاريخ ٢٢/٦/١٩٤٠م)؛ هـ – أندرياز هلغروبر، استراتيجية هتلر، السياسة وإدارة الحرب ١٩٤٠ – ١٩٤١م، فرانكفورت على الماين ١٩٦٥م، ص ١٣٠ وما بعدها.

ولكن موسوليني حصل مع ذلك في ٢٩ يونيو"حزيران" ١٩٤٠م (١٣٥٩/٥/٢٤هـ) باعتراف يقر بحق إيطاليا [٦١٧] بالإشراف على القوات الفرنسية المرابطة في الموانئ المتوسطية كلها. وبذلك يكون هذا الاتفاق بين إيطاليا وشريكتها منحها الحق بتحديد القوات الفرنسية في المغرب، والجزائر، وتونس، وسورية(٣٧).

أما المطامع التي كانت إيطاليا تودُّ فرضها على فرنسا وبريطانيا في حالة انعقاد مؤتمر محتمل للسلام فقد كانت أقل اعتدالاً؛ إذ كانت إيطاليا تطالب بالتحديد في "مشروع السلام" الذي أعدته وزارة خارجيتها بمدينة نيس الفرنسية، وبجزيرتي كورسيكا، ومالطا، وبتونس، وبقسم من الجزائر، وبالمنطقة المحيطة بقسنطينة. وكانت تنوي أيضا توسيع رقعة الأراضي الليبية لتشمل أفريقيا الاستوائية التي تحتلها فرنسا، ولتمتد حتى تشاد. ولكي تضمن إنشاء طريق برية عريضة تربط بين ليبيا وإثيوبيا، كانت إيطاليا ترغب أيضًا في أن تتنازل لها بريطانيا عن قسم كبير من أراضي السودان المصري البريطاني. كما كان لها مطامع في الصومال البريطاني والفرنسي؛ بل كانت مطامعها تمتد إلى جزيرتي سوقطرة وبريم، وهما جزيرتان

---

(37) Vgl. Dazu a) ADAP X: Die Kriegsjahre. Dritter Band: 23. Juni bis 31 August 1940. Frankfurt/Main 1963, Dokument 54: der Vertreter des Auswärtigen Amts bei der Deutschen Waffenstillstandskommission an das Auswärtig Amt, 29. 6. 1940, S. 46 f., und b) Eberhard Jäckel, Frankreich in Hitlers Europa. Die deutsche Frankreichpolitik im Zweiten Weltkrieg. Stuttgart 1966, S. 43.

انظر:

أ - ADAP، مج ١٠، سنوات الحرب، ج٢٣، من يونيو"حزيران" حتى ٣١ أغسطس"آب" ١٩٤٠م، فرانكفورت على الماين ١٩٦٣م، الوثيقة ٥٤، من ممثل وزارة الخارجية الألمانية لدى لجنة وقف إطلاق النار إلى وزارة الخارجية الألمانية، بتاريخ ١٩٤٠/٦/٢٩م، ص٤٦ وما بعدها؛ ب - إبرهارد ياكل: فرنسا في أوروبا الهتلرية، السياسة الفرنسية الألمانية في الحرب العالمية الثانية، شتوتغارت ١٩٦٦م، ص٤٣.

في بحر العرب، وتمتد أيضًا إلى حضرموت، وعدن، واليمن، وإلى الساحل الجنوبي الغربي للجزيرة العربية، وإلى شبه جزيرة سيناء بصفتها موقعًا استراتيجيًا على المدخل الشمالي للبحر الأحمر، وعلى قناة السويس. لقد كانت إيطاليا - بغض النظر عن مطامعها للسيطرة على الأرض - ترغب في توقيع اتفاقات ثنائية مع حلفائها الجدد من الدول العربية مثل: مصر وفلسطين والأردن وسورية، ومع العراق إذا أمكن أيضًا؛ وذلك لكي تضمن لنفسها في كل تلك البلاد نفوذًا سياسيًا، وقواعد عسكرية، وامتيازات اقتصادية. ولم تكن تركيا والمملكة العربية السعودية بمعزل في نهاية الأمر عن مخطط السيطرة الجديد هذا على الشرق الأوسط. ولضمان موافقتيهما فقد كان المقرر التخلي للمملكة العربية السعودية عن ميناء العقبة في شرق الأردن، ولتركيا عن مدينة حلب التي تقع شمال سورية(٣٨).

[٦١٨] ولكن هل كان بالإمكان تحقيق مثل ذلك المشروع الطموح في ظل الوضع السياسي الذي نشأ في صيف عام ١٩٤٠م (١٣٥٩هـ)؟ ففي يوليو"تموز" ١٩٤٠م (جمادى الأولى ١٣٥٩هـ) سُرِّحت القوات الفرنسية المرابطة في سورية، وكانت القوات البريطانية الموجودة في مصر وفلسطين والعراق في حالة من الضعف والوهن تجعلها بعيدة عن أن يحسب لها أي حساب في موازين القوى. وقد وجدت مصر نفسها على العكس من العراق مضطرة لقطع علاقاتها مع إيطاليا بضغط حازم من بريطانيا، بعد أن أعلن موسوليني الحرب على فرنسا وبريطانيا. وعلى الرغم من ذلك لم يحدث أي تطور في

---

(38) Vgl. Dazu a) Hillgruber, S. 130 f. Vgl. In diesem Zusammenhang auch
b) Mohamed-Kamal El Dessouki, Hitler der Nahe osten. Berlin 1963, S. 38.

انظر:

أ - هلغروبر، ص١٣٠ وما بعدها، وانظر في هذا السياق: ب - محمد كمال الدسوقي، هتلر والشرق الأوسط، برلين ١٩٦٣م، ص ٣٨ .

وضع دول المحور في منطقة الشرق الأوسط منذ خريف عام ١٩٣٩م (١٣٥٨هـ). فالقوميون العرب المعادون لبريطانيا كانوا يرغبون في التعامل مع ألمانيا أكثر من رغبتهم في التعامل مع إيطاليا التي يرون أنها دولة متوسطية ذات مطامع. وقد كانوا يأملون أن تنتصر ألمانيا على بريطانيا؛ ليتمكنوا من تخليص بلادهم من الهيمنة البريطانية من جهة، وكانوا من جهة أخرى يخشون خشية دراية أن تحل إيطاليا محل بريطانيا في سيطرتها على الوطن العربي. وقد عبر عن هذا الموقف صراحة: شوكت (وزير العدل العراقي) عندما قابل في تيرابيا (Thérapia)، يوم ٥ يوليو"تموز"، السفير الألماني في أنقرة فون بابن (Von Papen). لقد صرح شوكت أنه هو نفسه من القوميين العرب "وأنه يمثل في التشكيلة الوزارية العراقية الحالية الاتجاه الشعبي العراقي، والرغبة في التحرر من الوصاية البريطانية"(٣٩). والحق أنه لم يكن من السهل إزاحة نوري السعيد، وزير الخارجية في الحكومة العراقية حينئذ، والمناصر لبريطانيا، بيد أن مجرد رفض طلب بريطانيا من العراق قطع العلاقات الدبلوماسية مع إيطاليا يعد في حد ذاته نصرًا أحرزه الفريق القومي الحاكم بقيادة رئيس مجلس الوزراء رشيد عالي الكيلاني. كما أن الحركة القومية العربية كانت لا تناضل ضد الإمبريالية البريطانية فحسب، ولكن ضد الإمبريالية الإيطالية أيضًا. لذلك كان من صالح دول المحور أن تحاول ألمانيا إقناع إيطاليا القبول بحل يضمن مصالح الحركة العربية(٤٠).

> **العرب كانوا يرغبون في التعامل مع ألمانيا أكثر من رغبتهم في التعامل مع إيطاليا**

---

(٣٩) انظر: أ - ADAP، مج ١٠، الوثيقة ١٢٥، السفير الألماني في أنقرة إلى وزارة الخارجية الألمانية، بتاريخ ٦/٧/١٩٤٠م، ص١١٧ - ١١٩؛ انظر أيضًا: ب - الدسوقي، ص٥٤، وهلغروبر، ص١٤٠، وتلمان، ص٢٧ وما بعدها.

(٤٠) انظر: أ - ADAP، مج ١٠، وثيقة رقم ٢٨٩، السفير الألماني في أنقرة إلى وزارة الخارجية الألمانية، بتاريخ ٦/٨/١٩٤٠م، ص٣٤١؛ ب - هلغروبر، ص١٤١.

ولما لم يجد هذا التحرك الأول صدى لدى ألمانيا فإن القوميين العرب عادوا للمحاولة مرة أخرى؛ ففي السادس من أغسطس"آب" ١٩٤٠م (١٣٥٩/٧/٣هـ) قام عثمان كامل حداد، السكرتير الخاص للمفتي الأكبر بإعلام سفير ألمانيا في تركيا أن إيطاليا في أثناء مباحثاتها مع الحكومة العراقية تعهدت خطيا بأن تمنح الاستقلال لكل البلاد التي كانت ما تزال تحت الحماية الفرنسية أو البريطانية. وألمح حداد أن الحكومة العراقية "التي دعم موقفها ذلك التعهد" [٦١٩] تود إعادة العلاقات الدبلوماسية المقطوعة مع ألمانيا منذ ١٩ سبتمبر"أيلول" ١٩٣٩م (١٣٥٨/٨/٥هـ)(٤١). بل إن ما حدث في يوم ١٧ أبريل"نيسان" ١٩٤٠م (١٣٥٩/٣/١٠هـ)؛ أي بعد أيام عدة من لقاء حداد وفون بابن، مضى إلى أبعد من ذلك؛ عندما توجه زمبوني (Zamboni)، المستشار في السفارة الإيطالية في برلين للقاء وورمان (Woermann)، نائب وزير الدولة الألماني، ورئيس القسم السياسي في القوات المسلحة الألمانية؛ ليخبره أن رئيس الوزراء العراقي تباحث مع القائم بالأعمال الإيطالي في بغداد غبريللي (Gabbrielli) حول دول المحور، وأن رئيس الوزراء العراقي أسر إليه بأنه يؤيد تلك الدول، وأعرب في الوقت نفسه عن رغبته في حصول تقارب بين بلاده وألمانيا(٤٢).

لم يعد هناك مجال للشك في أن القوميين العرب كانوا يسعون للحصول على تأييد ألمانيا لتدعم حركة تحررهم. ولكن وزير الخارجية الألماني لم يكن مع ذلك - مراعاة لإيطاليا - مستعداً لتلبية رغبة القوميين العرب؛ بل إنه على العكس صرح في بيان صدر يوم ٢٠ أغسطس"آب" ١٩٤٠م (١٣٥٩/٧/١٧هـ) فيما يتعلق بإقامة نظام

---

(٤١) انظر: أ - ADAP، مج ١٠، وثيقة رقم ٣٥٩، ملاحظات مدير الإدارة السياسية، بتاريخ ١٩٤٠/٨/١٧م، ص٤١٥؛ ب - هلغروبر، ص١٤١ وما بعدها.

(٤٢) انظر: أ - ADAP، مج١٠، رسالة عامة إلى وزارة الخارجية الألمانية، بتاريخ ١٩٤٠/٨/٢٠م، ص٤٢٥؛ ب - هلغروبر، ص ١٤٢؛ ج - تلمان، ص١٦٦ وما بعدها.

جديد في الوطن العربي: "بأن ألمانيا ليس لها أي أهداف سياسية في حوض البحر الأبيض المتوسط الذي يشغل الوطن العربي ضفتيه الجنوبية والشرقية. وإنه لمن المناسب والحالة هذه أن تُطلق يد إيطاليا سياسيًا في إعادة تنظيم المنطقة العربية. وهذا يعني أن ألمانيا لن تسعى إلى فرض وجهة نظرها، ولن تنازع إيطاليا النفوذ في هذه المنطقة التي تضم شبه الجزيرة العربية ومصر وفلسطين والأردن وسورية ولبنان". ولكن تلك المذكرة تتابع القول: إن عدم اهتمام ألمانيا بتلك المنطقة سياسيا لا يعني في أية حال من الأحوال أنها لن تسعى إلى تحقيق مصالحها الاقتصادية والتجارية والثقافية. فألمانيا على سبيل المثال تولي أهمية كبرى لمسألة المشاركة في استثمار آبار البترول العربية بالاتفاق مع إيطاليا. وترغب حكومة الرايخ بموافقة إيطاليا في المحافظة على رحلاتها الجوية إلى المنطقة العربية، وفي متابعة نشاطاتها الأثرية.

إن التوجهات التي تصدرها وزارة الخارجية بخصوص النظام الجديد في المنطقة العربية لا ينبغي أن يعلم بها العرب ولا ممثلو القوى الأخرى. ولعله من المرغوب فيه الإلحاح لدى العرب على "الهدف المشترك في المصالح بين العرب وألمانيا، وهو هزيمة بريطانيا"؛ بل ينبغي الذهاب أبعد من ذلك والتركيز باستمرار على التعاطف الكبير الذي تكنه ألمانيا للشعب العربي في معركة التحرر التي يخوضها(٤٣).

[٦٢٠] إن ما سبق يبرهن على أن المسؤولين الألمان يعتزمون النظر إلى اتفاق أولوية المصالح الإيطالية بصفته اتفاقًا ما زال ساري المفعول، ولكن الدور القيادي لإيطاليا في الوطن العربي هو الذي لم

---

(٤٣) انظر: أ – ADAP، مج ١١ . ٢. سنوات الحرب، ج٤، والجزء الثاني: تاريخ ١٣ نوفمبر"تشرين الثاني" ١٩٤٠م، وحتى ٣١ يناير"كانون الثاني" ١٩٤١م، بون ١٩٦٤م، وثيقة ٦٨٠: رسالة المفتي العام في فلسطين إلى الفوهرر، بتاريخ ١٩٤١/١/٢٠م، ص٩٥٧ – ٩٦٠؛ ب – الدسوقي، ص٩٥؛ ج – هلغروبر، ص٤٧٤.

يعد بالنسبة إلى الألمان أمرًا حتميًا، وقد بدا أن هذا الدور قد تراجع في إطار التحول السياسي الجديد في تلك المنطقة. وبذلك يكون التضامن مع إيطاليا - كما بدا في مذكرة وزارة الخارجية الألمانية - قد سلب من حكومة الرايخ إمكانية الاستجابة لرغبات العرب دون أن توثق في مقابل ذلك تفاهمها مع شريكتها إيطاليا في مجالات أخرى.

لقد وصل التحفظ الألماني على مطالب القوميين العرب حدًّا جعل المفتي الأكبر محمد أمين الحسيني الذي كان مقيمًا في بغداد منذ زمن طويل، يجد نفسه مضطرًا إلى كتابة رسالة إلى هتلر في ٢٠ يوليو"تموز" ١٩٤١م (٢٦/٦/١٣٦٠هـ). ويؤكد المفتي الأكبر في الرسالة أن العرب حزموا أمرهم على إعلان الحرب على بريطانيا إذا توافرت لهم سبل الدعم المادي والمعنوي(٤٤). وظلت هذه الرسالة التي كتبت في فترة كانت فيها إيطاليا تتعرض لنكسة عسكرية في اليونان، وفي ليبيا، وفي إريتريا بلا جواب بادئ ذي بدء؛ و كان سبب ذلك عزل رشيد عالي الكيلاني رئيس الوزراء العراقي الموالي لدول المحور بعد أيام عدة من كتابة الرسالة، وفي ٣١ يناير"كانون الثاني" ١٩٤١م (٤/١/١٣٦٠هـ) على وجه التحديد حل محل الكيلاني طه الهاشمي وزير الدفاع الموالي لبريطانيا، ولكنه لم يستطع البقاء في الحكم طويلاً بعد النجاح الكبير الذي حققته القوات الألمانية في جنوب شرقي أوروبا وفي شمال أفريقيا؛ فاضطر إلى الاستقالة يوم ٢ أبريل"نيسان" ١٩٤١م (٦/٣/١٣٦٠هـ). وفي اليوم نفسه استعاد سلفه رشيد عالي الكيلاني الحكم. وفي الثامن من إبريل"نيسان"، أي بعد ستة أيام من تغير الحكومة، وإزاحة جميع القادة السياسيين

---

(44) Vgl. Dazu a) Majid Khdduri, Independent Iraq. A Study in Iraqi politics since 1932. London-New York-Toronto. 1951, S. 182 ff.

انظر:

أ - ماجد خدوري، العراق المستقل، دراسة في مغزى السياسة العراقية، ١٩٣٢م، لندن - نيويورك - تورنتو، ١٩٥١م، ص١٨٢؛ ب - دسوقي، ص٩٣.

الموالين لبريطانيا في العراق، أجاب هتلر عَبْر وزير الدولة للشؤون الخارجية فون فيزثاكر (Von Weizsäcker) عن رسالة المفتي الأكبر المرسلة في ٢٠ يناير"كانون الثاني" ١٩٤١م (١٣٥٩/١٢/٢٢هـ). كتب فيزثاكر في رده: إذا كان العرب ينوون محاربة بريطانيا فإن بإمكانهم الاعتماد على مساعدة ألمانيا المالية والعسكرية. وألمانيا مستعدة للمشاركة في التجهيزات اللازمة للحرب ضد بريطانيا بتقديم الأسلحة للعرب، غير أن تسليم تلك الأسلحة خاضع لإمكانية إيجاد طريق آمنة تسلكها شحنات الأسلحة(٤٥). وفي اليوم الثاني، ٩ أبريل"نيسان" ١٩٤١م (١٣٦٠/٣/١٣هـ) بادر مكتب [٦٢١] العلاقات الخارجية في حكومة الكيلاني " إلى إصدار توصية ببدء المواجهة المسلحة ضد بريطانيا، ما إن تسمح موازين القوى بتحقيق النجاح". وجهت وزارة الخارجية هذه التوصية إلى رئيس مجلس الوزراء العراقي مع أن إيطاليا كانت ترى أنه من المستحسن نصحه بتأجيل المواجهة المسلحة(٤٦). وفي أثناء لقاء بينه وبين ورمان - رئيس القسم السياسي في وزارة الخارجية - أعلن ريبنتروب في اليوم نفسه أن هتلر سيحسم مسألة الشرق الأوسط بعد إنزال الهزيمة بروسيا. وما خلا ذلك فإن وزير الخارجية الألمانية أوضح في هذه المناسبة أنه لا يمانع حث أجهزة الاستخبارات الألمانية في الخارج على رسم مخططات للهجوم على القوات البريطانية في فلسطين، وفي الأردن، وفي

---

(45) Joseph Schechtmann, The Mufti and the Fuehrer. The Rise and Fall of Haj Amin el-Husseini. New York-London 1965, S. 106 f.

أ - ADAP، مج ٢/١٢.: سنوات الحرب، ج٥، الجزء الثاني من ٦ أبريل"نيسان" حتى ٢٢ يونيو"حزيران" ١٩٤١م، غوتنغن ١٩٦٩م، وثيقة ٢٩٣: رسالة وزارة الخارجية الألمانية إلى سفارتها في أنقرة، بتاريخ ١٩٤١/٤/٣م، ص٤٠٥ وما بعدها؛ ب - دسوقي، ص٩٨؛ ج - هلغروبر، ص٤٧٥؛ د - جوزيف ششتمان: المفتي والفوهرر، صعود أمين الحسيني وهبوطه، نيويورك - لندن، ١٩٦٥م، ص ١٠٦ وما بعدها.

(٤٦) انظر: أ - الاقتباس عن تلمان، ص٢١٦؛ انظر أيضا ب - دسوقي، ص٩٩.

العراق، وعلى إنشاء أجهزة استخبارات عسكرية في بلاد المشرق كلها(٤٧). وكان نتيجة ذلك أن تحركت القوى المعادية لبريطانيا في العراق منذ النصف الأول من أبريل"نيسان"، ووجهتها ألمانيا ضد بريطانيا.

لقد تدهورت الأوضاع في العراق بسرعة حتى وجد كورنواليس (Cornwallis)، سفير بريطانيا في بغداد نفسه مضطرًا في ليلتي يومي ١٧ و ١٨ أبريل"نيسان" إلى إخبار رئيس الوزراء العراقي بأن فيلقا كبيرًا من القوات البريطانية سينزل بعد يومين في البصرة قادما من الهند، وسيُنقل من هناك إلى مصر. ارتابت الحكومة العراقية - وحُق لها أن ترتاب - في نوايا الحكومة البريطانية، وطلبت على الفور دعمًا جويًّا، ومساعدة عسكرية من دول المحور(٤٨). ولكن قبل أن يصل ذلك النداء إلى برلين مرورًا بروما، كانت القوات البريطانية قد نزلت في البصرة دون أية عوائق.

بيد أن الحكومة الألمانية أعلمت الكيلاني في ٢٧ أبريل"نيسان" أن عددًا من الإجراءات قد اتخذت لتقديم مساعدة مالية للعراق، وأكدت الحكومة الألمانية أيضًا أنها مشغولة بالبحث عن مسلك تسلكه الأسلحة والذخائر المقدمة للعراق. وفي النهاية انتهزت الحكومة الألمانية الفرصة لتعرب عن تعاطفها مع العراق(٤٩). ومع أن الحكومة

---

(٤٧) انظر: أ - ADAP، مج ١٢، وثيقة ٢٩٩، ملاحظات مدير الإدارة السياسية، تاريخ ١٩٤١/٤/٩م، ص ٤١٣ وما بعدها؛ ب - تلمان، ص. ٢١٥

(48) Lukasz Hirszowicz, The Third Reich and the Arab East. London-Toronto 1966, S. 143 f.

أ - ADAP، مج ١٢، وثيقة ٣٧٢: السفير في روما إلى وزارة الخارجية الألمانية، بتاريخ ١٩٤١/٤/١٩م، ص٤٨٩ وما بعدها؛ ب - خدوري، ص١٨٨ وما بعدها؛ ج - دسوقي، ص١٠٠ وما بعدها؛ د - هلغروبر، ص ٤٧٥ وما بعدها؛ هـ - تلمان، ص ٢١٧ وما بعدها؛ وانظر في هذا السياق: و - لوكاش هيروسوفتس: الرايخ الثالث والشرق العربي، لندن ١٩٦٦م، ص ١٤٣ وما بعدها.

(٤٩) انظر: أ - ADAP، مج ١٢، وثيقة ٤١٣: وزير الخارجية الألمانية إلى السفارة في روما، تاريخ ١٩٤١/٤/٢٧م، ص٥٤٣؛ ب - دسوقي، ص١٠٢ وما بعدها.

الألمانية لم تحزم أمرها على تقديم مساعدة حاسمة للعراق، إلا أن يأس الهزيمة لم يتسرب إلى الكيلاني نفسه الذي طلب في ٢٨ أبريل"نيسان" من دول المحور [٦٢٢] مساعدة قدرها ثلاثة ملايين دينار عراقي تحسبًا لنشوب الحرب مع بريطانيا. وفي اليوم نفسه عبرت القيادة العامة للجيش العراقي عن رغبتها في أن تقصف طائرات المحور تجمعات القوات البريطانية في منطقة البصرة، والوحدات البحرية المرابطة قبالة ميناء البصرة وفي الخليج العربي كله. وتعهدت بصراحة في حال حصول ذلك أن تضع تحت تصرف دول المحور مطارات مدن الموصل، وبغداد، ومقدادي. وأكدت القيادة العامة للجيش العراقي أيضًا وبتفاؤل في غير محله، ولا أساس له، أن في المطارات العراقية وقودًا يكفيها لفترة أربعة أشهر على الأقل(٥٠).

لقد وافق المارشال كيتل (Keitel)، قائد القوات المسلحة الألمانية في يوم ٢٨ أبريل"نيسان" على اقتراح وزارة الخارجية بإرسال غروبا (Grobba)، القائم بالأعمال الألماني في أنقرة للتفاوض مع وزير مفوض من حكومة الكيلاني حول كيفية تزويد العراق بالأسلحة الألمانية(٥١). ولكن الأوضاع في العراق تدهورت قبل أن يسافر غروبا؛ ذلك أنه في يوم ٢٩ ليلة ٣٠ أبريل"نيسان" بدأت القوات العراقية بمحاصرة القاعدة البريطانية في الحبانية. وبعد محادثات عقيمة استمرت عدة أيام، بدأت القوات البريطانية بإطلاق النار في يوم ٢ مايو"أيار". وسارعت حكومة الكيلاني بقطع العلاقات مع بريطانيا. وتوجهت في الوقت نفسه إلى هتلر تطلب منه إرسال غروبا إلى

---

(٥٠) انظر: أ - دسوقي، ص١٠٢ وما بعدها؛ ب - هلغروبر، ص ٤٧٧ (حاشية ٢٥)؛ ج - تلمان، ص٢٢٥ وما بعدها؛ د - هرزوفتش، ص١٤٦؛ هـ - غروبا، ص٢٢٥.

(٥١) انظر حول ذلك: أ - دسوقي، ص ١٠٣؛ ب - تلمان، ص٢٢٤ وما بعدها؛ ج - غروبا، ص٢٢٤ وما بعدها.

بغداد، وحثته على أن يمدها على الفور بمساعدة عسكرية حقيقية، وبالدعم الجوي على وجه الخصوص(٥٢). ولئن كان هتلر قد وافق على مشروع ريبينتروب القاضي بإرسال غروبا إلى بغداد منذ يوم ٣ مايو"أيار" ١٩٤١م (٧/٤/١٣٦٠هـ)(٥٣) لقد كان مترددًا بشأن إرسال الطائرات إلى العراق. ولكنه على كل الأحوال غير رأيه عندما أخبر الأميرال دارلان (Darlan)، رئيس مجلس الوزراء الفرنسي بالوكالة (في حكومة فيشي)، يوم ٥ مايو"أيار"، سفير ألمانيا في باريس، السيد أبتز (Abetz)، أنه مستعد لأن يسمح ببيع أسلحة فرنسية مخزنة في سورية للعراق، ولأن يسمح للطائرات الألمانية باستخدام المطارات السورية(٥٤).

وبعد هذا التصريح أُرسل السفير ران (Rahn)، ممثل ألمانيا في اللجنة الإيطالية للهدنة إلى بيروت؛ ليتفق مع الجنرال[٦٢٣] دانتز (Dentz)، المندوب السامي للحكومة الفرنسية في سورية ولبنان على حيثيات تسليم العراق أسلحة فرنسية مخزنة في سورية في أقرب وقت ممكن(٥٥).

---

(٥٢) انظر حول ذلك: أ – ADAP، مج ١٢، وثيقة ٤٣٢: السفير الألماني في أنقرة إلى وزارة الخارجية الألمانية، بتاريخ ١٩٤١/٥/٢م، ص٥٧٠ وما بعدها؛ ب – دسوقي، ص١٠٤؛ ج – هلغروبر، ص ٤٧٧؛ د – تلمان، ص٢٢٧.

(٥٣) انظر: أ – ADAP، مج١٢، وثيقة ٤٣٥: ملاحظات وزير خارجية الرايخ، تاريخ ١٩٤١/٥/٣م، ص٥٧٢ وما بعدها؛

ب – ADAP، مج ١٢، وثيقة ٤٣٦، ملاحظات السفير هيفل (شخصيًّا: المجموعة RAM)، تاريخ ١٩٤١/٥/٣م، ص٥٧٤.

(٥٤) انظر: ADAP، مج ١٢، وثيقة ٤٥٩، السفير أبتس إلى وزارة الخارجية الألمانية، بتاريخ ١٩٤١/٥/٥م، ص ٥٩٨ – ٦٠٠؛ ب – دسوقي، ص١٠٥ وما بعدها؛ ج – هلغروبر، ص٤٧٧؛ د – تلمان، ص٢٣٢؛ هـ – هيرزوفتس، ص ١٥٩ وما بعدها.

(55) b)Roudolf Rahn, Ruheloses Leben. Aufzeichnungen und Erinnerungen. Düsseldorf 1949, S. 152 ff. F) George Kirk, The Middle East in the War. Survey of International Affairs 1939 - 1946, vol. II. Ed. By Arnold =

وصل ران في ١٢ مايو"أيار"، قبل وصول غروبا بيوم واحد، إلى الموصل(٥٦)، التي وصلت إليها في يوم ١٥ من الشهر نفسه - بعد توقف في دمشق وتدمر - وحدة من الطائرات الألمانية، عددها ٢٤ طائرة(٥٧). كانت تلك الوحدة مقسومة إلى سربين، يتألف كل منهما من ١٢ طائرة، وُضعت تحت إمرة"قائد القوات الجوية العراقية"، وما كادت تلك الطائرات تبدأ عملياتها فوق قاعدة الحبانية، حتى قررت الحكومة الألمانية في يوم ١٢ مايو"أيار" زيادة دعمها للعراق بإرسال بعثة عسكرية يقودها الجنرال الطيار فيلمي (Felmy)(٥٨). هذه البعثة العسكرية التي كان من المقرر أن تتألف من ٤٠ ضابطًا، وصف ضابط، وجنودًا(٥٩)، كانت مهمتها كما جاء في التوجيه رقم ٣٠ الصادر عن هتلر بتاريخ ٢٣ مايو"أيار": "تقديم النصح للجيش العراقي ومساعدته"، و"القيام باتصالات مع القوات البريطانية المعادية خارج العراق، ما أمكن ذلك"، و"الحصول على معلومات ووثائق تتعلق بهذه المنطقة، يستفيد منها الجيش الألماني". ويضيف هتلر أن حركة التحرر العربية في الشرق الأوسط ستكون هي الحليف

= Toynbee. London-New York-Toronto 1954 (weiterhin zitiert als: Kirk, The Middle East), S. 93.

أ - ADAP، مج ١٢، وثيقة ٤٧٦، ملاحظات مدير الإدارة السياسية، بتاريخ ١٩٤١/٥/٨م، ص٦١٨؛ ب - رودولف ران: حياة مضطربة: ملاحظات وذكريات، دوسلدورف ١٩٤٩م، ص ١٥٢ وما بعدها؛ د - هلغروبر، ص٤٧٧ وما بعدها؛ هـ - تلمان، ص٢٣٦؛ و - هيرزوفتس، ص١٥٨ وما بعدها، قارن أيضًا في هذا السياق: جورج كرك، الشرق الأوسط في الحرب، استقصاء الشؤون الدولية من ١٩٣٩ - ١٩٤٦م، مج ٢، نشر الدكتور أرنولد توينبي، لندن - نيويورك - تورنتو ١٩٥٤م، ص٣٩.

(٥٦) انظر: أ - ران، ص١٥٤؛ ب - غروبا، ص٢٣٣ وما بعدها.

(٥٧) انظر: دسوقي، ص١٠٧ وما بعدها؛ ب - هلغروبر، ص٤٧٩ حول الـ ٢٤ طائرة التي أرسلتها ألمانيا إلى الموصل، وفي نهاية مايو"أيار" كان هناك طائرة واحدة صالحة للطيران، وقد عادت بتاريخ ٣١ مايو"أيار" عن طريق حلب إلى جزيرة رودوس.

(٥٨) انظر: تلمان، ص٢٤١.

(٥٩) انظر: الحاشية السابقة.

الطبيعي لألمانيا ضد بريطانيا، ولهذا كان ينبغي على ألمانيا أن تولي انتفاضة العراق ضد بريطانيا أهمية خاصة تتجاوز حدودها؛ لأن هذه الانتفاضة تدعم التحركات المعادية لبريطانيا في الشرق الأوسط، وتعيق طرق الاتصالات، وتشل تحركات القوات البريطانية، والإمكانات التي يمكن أن تنتقل إلى جبهات أخرى تحتاجها. وتمكن هتلر بهذا المنظور أن يقرر أن "التطور في الشرق الأوسط ينبغي أن يستمر بفضل المساعدة المقدمة للعراق"، حتى لو احتاج الأمر إلى اتخاذ قرار "بعد انتهاء عملية بربروسا (Barbarossa)"(٦٠) لمعرفة "كيفية وإمكانية تعطيل المواقع البريطانية الواقعة بين البحر الأبيض المتوسط والخليج العربي، بالتزامن مع هجوم لابد منه على قناة السويس"(٦١).

[٦٢٤] إن التدخل العسكري الألماني في العراق كان في واقع الأمر عملية مناوشة تكتسب أهمية استراتيجية، كان هتلر يأمل منها - مستغلاً الانتفاضة العراقية ضد بريطانيا - أن يُبّقي في العراق لأطول وقت ممكن - مستخدمًا أقل عدد ممكن من القوات والمعدات، قوات بريطانية فاعلة، تجد نفسها بذلك غير قادرة على مواجهة

التدخل العسكري الألماني في العراق كان في واقع الأمر عملية مناوشة تكتسب أهمية استراتيجية

---

(٦٠) عملية عسكرية أطلق عليها اسم الإمبراطور الجرماني فريديريك الأول بربروسا (Frederick1 Barbarossa) (١١٢٢-١١٩٠م) أصبح إمبراطورًا في عام ١١٥٥م، مات غريقًا في قلقيلية بالحملة الصليبية الثالثة ودفن في صور. [المترجم].

(61) Vgl. Dazu a) Hitlers Weisungen für die Kriegführung 1939-1945. Dokumente des Oberkommandos der Wehrmacht. Herausgegeben von Walther Husbatsch. Frankfurt am Main 1962, "Weisung Nr. 30 Mittlerer Orient", 23. 5. 1941, S. 120-122.

انظر:

أ - أوامر هتلر بالحرب ١٩٣٩ - ١٩٤٥م، وثائق القيادة العليا للجيش، نشرها فلتر هوباتش، فرانكفورت على الماين، ١٩٦٢م (أمر رقم ٣٠ الشرق الأوسط)، بتاريخ ١٩٤١/٥/٢٣م، ص١٢٠ - ١٢٢؛ انظر أيضًا: ب - هلغروبر، ص٤٧٨؛ ج - تلمان، ص٢٤١.

العمليات الألمانية الإيطالية في شمال أفريقيا. ولكن هذه الخطة باءت بالفشل؛ فعلى الرغم من أن بعض الطائرات الإيطالية وصلت في يومي ٢١ و ٢٦ مايو"أيار" إلى الموصل لدعم انتفاضة العراق[٦٢]، إلا أن الوضع في نهاية مايو"أيار" كان يتطور باستمرار لصالح بريطانيا؛ إذ انطلقت قواتها من الحبانية والبصرة نحو بغداد ووصلت إلى مشارفها في ٢٩ مايو"أيار". وفي عشية يوم ٣١ مايو"أيار"، عندما تمخضت الاتصالات البريطانية العراقية عن هدنة، طار على إثرها الكيلاني والمفتي الأكبر إلى إيران، وغادر غروبا إلى ألمانيا عبّر حلب[٦٣].

قبل التوقف النهائي للانتفاضة العراقية، وفي الوقت نفسه الذي كانت فيه القوات الألمانية تستولي على جزيرة كريت، قررت بريطانيا احتلال سورية لتدعيم موقعها في الشرق الأوسط، إلا أن قوات حكومة فيشي المتمركزة في سورية أبدت في واقع الأمر بقيادة الجنرال دانتز مقاومة باسلة في وجه القوات البريطانية. ولكن دانتز وجد نفسه في ١٤ يوليو"تموز" مضطرًا لتوقيع هدنة أصبحت بموجبها سوريا ولبنان خاضعتين للسلطة البريطانية - الديغولية[٦٤].

---

[٦٢] انظر: دسوقي، ص١١٢.

[63] e)John Bagot Glubb, The Story of the Arab Legion. London 1948, S. 263 ff., g) James Ramsey Montagu Butler, Grand Strategy. Volume II: September 1939-June 1941. London 1957, S. 460 ff.

انظر:

أ - دسوقي، ص١١٣؛ ب - ششتمان، ص١١٦؛ ج - هلغروبر، ص٤٧٩؛ د - تلمان، ص٢٤٦؛ وانظر حول أعلام العراق هؤلاء: هـ - جون باغوت غلوب، قصة الجيش العربي، لندن ١٩٤٨م، ص٢٦٣؛ و - خدوري، ص١٩٠ وما بعدها؛ ز - جيمس رمزي مونتغاو بتلر: الاستراتيجية الكبرى، العدد٢، سبتمبر"أيلول" ١٩٣٩م، يونيو"حزيران" ١٩٤١م، لندن ١٩٥٧م، ص٤٦٠ وما بعدها.

[٦٤] انظر: أ - ران ص١٦٧ وما بعدها؛ ب - كرك، الشرق الأوسط، ص٩٦ وما بعدها؛ ج - دسوقي، ص١١٥ وما بعدها؛ د - هلغروبر، ص١٠؛ هـ - تلمان، ص٢٤٧ وما بعدها؛ و - هيرزوفتس، ص١٧٣ وما بعدها.

لم يكن الوقت وقت تردد، إذ كان ينبغي بدء الهجوم الألماني على روسيا السوفيتية في ٢٢ يونيو"حزيران"؛ لذلك عدل هتلر عن تقديم مساعدة عسكرية حاسمة لدانتز، على الرغم من أنه كان للشرق الأوسط، وبالتحديد في ذلك الوقت، دور مهم في مفاهيم هتلر الاستراتيجية. تدل على ذلك مسودة الوثيقة التي أعدت يوم ١١ يونيو"حزيران" لصياغة "التوجيه رقم ٣٢" الذي يتعلق "بالاستعدادات للفترة التي تتلو عملية بربروسا"، ويظهر منها أن هتلر كان ينوي "بعد الانتصار النهائي المظفر لحملة الشرق"، استئناف قتال البريطانيين في الشرقين الأوسط والأدنى؛ لأنه كان يخطط لمواصلة المعارك "في نهاية خريف ١٩٤١م (١٣٦٠هـ)، وشتاء ١٩٤١/١٩٤٢م (١٣٦٠هـ)" ضد المواقع البريطانية في البحر الأبيض المتوسط، وفي آسيا الوسطى بواسطة هجومات مكثفة تنطلق من ليبيا عبّر مصر، ومن بلغاريا [٦٢٥] عبّر تركيا، وفي حدود ما تسمح به الظروف إلى القوقاز عبّر إيران".

ولكي تنجح العمليات المخطط لها في الشرقَيْن الأدنى والأوسط ينبغي استغلال حركة التحرر العربية، لأنه كلما كثرت في الشرق الأوسط القوى التي "تثير الاضطرابات والتحركات في الوقت المناسب أصبح الوضع الذي ينبغي على بريطانيا مواجهته في المكان عينه أكثر صعوبة عندما تقرر ألمانيا القيام بعمليات أكثر فاعلية. كان ينبغي أن تكون كل الإمكانات العسكرية والسياسية والدعائية الهادفة إلى تعطيل القوات البريطانية بعمليات حركات التحرر العربية، متزامنة منذ مرحلة التهيئة.

أما فيما يتعلق بالتنسيق بين المخططات والإجراءات التي تتعلق بالمنطقة العربية فقد قرر هتلر بالتنسيق مع "قيادة الأركان الخاصة، ف F "إنشاء مكتب مركزي خارجي، يكون مقره في قطاع القيادة

الجنوبية الشرقية للقوات المسلحة الألمانية، وينبغي أن يوضع تحت تصرفه "أمهر المختصين والأعوان"(٦٥).

ولكن العمليات العسكرية في روسيا وفي شمال أفريقيا لم تجر على الوجه الذي يسمح باحتلال المواقع التي كان من المفترض احتلالها في البداية؛ لتنفيذ المخططات التي جرى الإعلان عنها في "التوجيه رقم ٣٢". لقد كان المفتي الأكبر، والكيلاني لا يألوان بلا شك أي جهد منذ نهاية نوفمبر"تشرين الثاني" ١٩٤١م (١٣٦١/١/١٤هـ)، لحث دول المحور على مناصرة قضايا العرب على رؤوس الأشهاد. ولكن هذه المحاولات باءت بالفشل(٦٦)، وبدا أن المساعدة التي يقوم بها الفيلق العربي للعمليات العسكرية في تونس عام ١٩٤٣م (١٣٦٢هـ) لم تكن ذات بال(٦٧). وبعبارة أخرى، إن السياسة العربية التي انتهجتها دول المحور منذ صيف عام ١٩٤١م (١٣٦٠هـ) كانت تفقد شيئًا فشيئًا دلالتها الحقيقية.

وإذا دققنا النظر في كل شيء نجد أن كلاً من ألمانيا وإيطاليا فصلتا كل الفصل مناطق نفوذ إحداهما عن الأخرى عندما وقعا اتفاق المحور، حتى إن الوطن العربي الذي كان ما زال تحت الهيمنة البريطانية والفرنسية وقع في منطقة النفوذ الإيطالي... ولكنْ لما كانت إيطاليا تسعى لتحقق في المنطقة العربية أهدافًا سياسية فإنها اصطدمت هناك، شأنها شأن بريطانيا وفرنسا برفض قاطع، وكان العرب يعولون على ألمانيا للحصول على استقلالهم، بيد أن آمالهم خابت؛ لأن السياسة العربية لألمانيا لم تكن منذ زمن طويل إلا معطى وظيفيا، وهذا يعني أن السياسة التي كان الرايخ ينهجها إزاء الوطن

---

(٦٥) انظر: أوامر هتلر، أمر رقم ٣٢، الاستعداد لفترة ما بعد بربروسا، تاريخ ١٩٤١/٦/١١م، ص١٢٩ وما بعدها؛ ب - تلمان ص٢٤٧ وما بعدها؛ ج - هيزوفتس، ص١٩٧ وما بعدها.

(٦٦) انظر: تلمان، ص٣١٩ وما بعدها.

(٦٧) انظر: تلمان، ص ٣٥٣ وما بعدها.

[٦٢٦] العربي كانت حتى عشية الحرب العالمية الثانية مرتبطة ارتباطًا مباشرًا بتطور العلاقات البريطانية الألمانية، ثم أصبحت بعد ذلك منذ عام ١٩٣٩م (١٣٥٨هـ) محكومة بمصالح دول المحور، وبالتالي بمصالح إيطاليا على وجه الخصوص. لقد حاولت الحكومة الألمانية في مايو"أيار" ١٩٤١م (ربيع الثاني ١٣٦٠هـ) مساعدة الانتفاضة العراقية؛ لتستطيع بهذه الوسيلة أن تجد لها موطئ قدم في الشرق الأوسط. ومع دخول قوات الحلفاء إلى العراق، وسورية، وإيران منذ منتصف عام ١٩٤١م (١٣٦٠هـ)، كانت دول المحور ترى إمكانية ممارسة التأثير في بلاد الشرق الأوسط العربية – لتقف إلى جانبها في الحرب – تتلاشى، ثم انقطعت علاقاتهم مع الوطن العربي تمامًا، بعد سنتين بالتحديد، عندما خسروا رأس الجسر للعبور إليه في شمال أفريقيا.